إحذر سوء العاقبة

إذا افترضنا أن الإنسان يمكن أن يحقق أهدافه، فكم هي المدة التي سيدوم له فيها ذلك؟
كم ستدوم له قوة الشباب؟
عندما يقبل ربيع العمر على الخريف، وتتلاشى من القلب العزيمة، و من الأعضاء القوة، وتتعطل الذائقة، فلا تدرك حقيقة الطعم، وتتعطل العين والأذن وقوة اللمس والقوى الأخرى، فإن الملذات كلها تصبح ناقصة أو معدومة، وتهجم الأمراض المختلفة، فلا يبقى للإنسان غير الآه الباردة والقلب المملوء ألماً وحسرة وندامة.
إذاً، مدة استفادة الإنسان من قوى جسمه هذه، منذ ما بعد التمييز بين الحسن والقبيح وإلى زمان تعطل هذه القوى، أو تداعيها، ليس أكثر من أربعين سنة، بالنسبة للناس الأقوياء البنية والاصحاء. هذا لمن لا يبتلى بالأمراض والإبتلاءات التي نراها في كل يوم، ونحن عنها غافلون.
وعلى عجل أفترض لك في عالم الخيال الذي لا أصل له أنك ستعيش مائة وخمسين سنة.. تتوفر لك فيها جميع أسباب الشهوة والغضب والشيطنة.. ولأفترض أنك لن تبتلى بأي شيء يكدر صفوك. فما هي عاقبتك بعد هذه المدة القليلة التي تمر مر الرياح؟
هل تدخر شيئاً من هذه اللذات لحياتك الأبدية؟ ليوم فقرك ووحدتك؟ لبرزخك وقيامتك؟ لملاقاة ملائكة الله وأولياء الله وأنبيائه؟ أللهم إلا الأعمال القبيحة المنكرة التي تصبح صورتُها - في البرزخ والقيامة- صورتَك. تلك الصورة التي لا يعلم حقيقتها إلا الله تبارك وتعالى.
كل ما سمعتَه عن نار جهنم وعذاب القبر والقيامة وغيرها وقايسته بنار الدنيا وعذاب الدنيا، فقد اخطأت الفهم وأسأت القياس.
نار هذا العالم أمر عرضي بارد. عذاب هذا العالم ناقص وقصير. لو جُمعت كل نيران هذا العالم فانها لا تستطيع إحراق روح الإنسان. النار هناك بالإضافة إلى أنها تحرق الجسم فإنها تحرق الروح وتذيب القلب، وتحرق الفؤاد!
كل ما سمعته حتى الآن كائناً من كان من سمعت منه، هو جهنم أعمالك التي تراها حاضرة هناك. يقول الله تعالى: ووجدوا ما عملوا حاضراً.
هنا أكلت مال اليتيم. تلذذت به. يعلم الله ما هي الصورة التي تراها في ذلك العالم في جهنم. و«اللذة» التي ستكون من نصيبك.
هنا اسأت القول للناس، أحرقت قلب الناس. إحراق قلب العباد هنا، يعلم الله أي عذاب يستتبعه في تلك الدنيا. عندما تراه ستفهم أي عذاب أعددت لنفسك. عندما اغتبت، أعدت لك الصورة الملكوتية للغيبة، وترد إليك وتحشر معك، وستذوق عذابها.
وهذه الامور جهنم الأعمال التي هي سهلة وهينة وباردة أوهنيئة، وهي للذين هم أهل المعاصي.
أما الاشخاص الذين أصبحت لهم ملكات فاسدة ورذيلة وباطلة من قبيل ملكة الطمع، الحرص، الجحود، الجدال، الشره، حب المال والجاه والدنيا، وسائر الملكات المنحطة، فلهم جهنم لا يمكن تصورها. صورها لا تخطر في قلبي وقلبك. تظهر من باطن النفس، فيهرب من عذابها أهل جهنم مذعورين.
ورد بعض الروايات الموثقة: «إن في جهنم لواديا للمتكبرين يقال له سقر، شكا إلى الله عز وجل شدة حره، وسأله أن يأذن له أن يتنفس، فتنفس فأحرق جهنم»!!
أحيانا تصبح هذه الملكات السبب في أن يخلد الإنسان في جهنم، لأنها تسلبه الإيمان. مثل الحسد الذي ورد في رواياتنا الصحيحة أن الحسد يأكل الايمان كما تأكل النار الحطب.. وحب الدنيا والجاه والمال حيث ورد في الروايات الصحيحة: «ما ذئبان ضاريان في غنم قد فارقها رعاؤها، أحدها في أولها والاخر في اخرها بأفسد منها من حب المال والشرف في دين المسلم». معاذ الله أن تؤول عاقبة المعاصي الى الملكات والأخلاق الظلمانية القبيحة، وتؤدي هذه الى زوال الإيمان، وموت الإنسان على الكفر، فإن جهنم الكفر وجهنم العقائد الباطلة أصعب بمراتب من تينك الجهنمين، وأشد إحراقاً وظلاماً.

«الأربعون حديثاً» للإمام الخميني قدس سره